

الْأَجْتِمَاعِيَّةِ وَمَرْكَزَهَا. وَعَنِ الْمَسَاجِدِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾².

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

إِنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي هُوَ أَشْرَفُ الْمَخْلُوقَاتِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، لَا يَفُودُ عَلَى الْعَيْشِ بِمُفْرَدِهِ مُسْتَعِينًا عَنِ النَّاسِ. فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَائِنٌ اجْتِمَاعِيٌّ بِطَبْعِهِ. فَلَا بُدَّ حَتَّى يَعِيشَ عَيْشَةً صَحِيحَةً، أَنْ تَكُونَ لَهُ عِلَاقَاتٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ تَرْبِطُهُ بِالنَّاسِ الْآخَرِينَ مِنْ حَوْلِهِ. وَهَكَذَا يَكُونُ الْإِنْسَانُ فِي جَمِيعِ جَوَانِبِ حَيَاتِهِ مُحَاطًا بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعِلَاقَاتِ الْجَمَاعِيَّةِ، إِبْتِدَاءً مِنْ أُسْرَتِهِ الَّتِي يَنْشَأُ فِيهَا، إِلَى سَائِرِ الْأَحْوَالِ الَّتِي يَتَوَاجَدُ فِيهَا. وَنَفْسُ هَذَا الْأَمْرِ يَنْطَبِقُ عَلَى الْجَانِبِ الدِّينِيِّ مِنْ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ أَيْضًا. فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَرْسُمُ وَيُنْشِئُ لَنَا حَيَاتَنَا الْجَمَاعِيَّةَ أَيْضًا. وَمِنْ أَهَمِّ مَبَادِي دِينِنَا الْإِسْلَامِ فِي هَذَا الْخُصُوصِ، مَبْدَأُ التَّكَاوُلِ وَالتَّسَانُدِ الْجَمَاعِيِّ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ. فَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ بِسَبْعٍ: «بِعِبَادَةِ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَنَصْرِ الضَّعِيفِ، وَعَوْنِ الْمَظْلُومِ، وَإِفْتَاءِ السَّلَامِ، وَإِبْرَارِ الْمُقْسِمِ»¹. فَمِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ السَّبْعَةَ كُلَّهَا مُتَعَلِّقَةٌ بِتَنْظِيمِ عِلَاقَاتِ الْمُسْلِمِينَ الْجَمَاعِيَّةِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

لَيْسَتْ الْمَسَاجِدُ أَمَاكِنَ صَلَاةٍ وَذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى فَحَسْبُ. بَلْ إِنَّ تَكْوِينَ شَخْصِيَّةِ الْمُسْلِمِ وَحِفْظَهَا، فِي الْمَسَاجِدِ يَكُونُ وَالتَّعَاوُنُ وَالْمُعَاشَرَةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، كَذَلِكَ فِي الْمَسَاجِدِ يَكُونُ. فَالْمَسَاجِدُ أَمَاكِنَ حَلِّ لِمُشْكِلَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَاكِنَ إِخْيَاءٍ لِلْأُخُوَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بَيْنَنَا. فِيهَا تَقَامُ الْفَعَالِيَّاتُ لِلصَّغَارِ وَالْكَبَارِ، وَفِيهَا تُرَبَّى الْأَجْيَالُ، وَفِيهَا تُنظَّمُ الْمُسَاعَدَاتُ لِلْمَظْلُومِينَ وَالْمُحْتَاجِينَ فِي الْعَالَمِ. فَالْمَسَاجِدُ إِلَى جَانِبِ كَوْنِهَا دُورَ عِبَادَةٍ وَذِكْرٍ، فَإِنَّهَا بِالنِّسْبَةِ لِلْمُسْلِمِينَ مَرَاكِزُ لِحَيَاتِهِمْ الْجَمَاعِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ عُمُومًا.

إِخْوَتِي الْأَعْرَاءُ،

عَلَيْنَا أَنْ نَجْعَلَ الْمَسَاجِدَ أَمَاكِنَ لِقَائِنَا، وَأَنْ نَتَأَلَّفَ فِي الْمَسَاجِدِ مَعَ أَصْحَابِنَا. وَلَقَدْ نَبَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَهْمِيَّةِ اعْتِيَادِ الْمَسَاجِدِ، فَقَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسْجِدَ، فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ»³. فَعَلَيْنَا أَنْ نَعْتَادَ الْمَسَاجِدَ، وَأَنْ نَعْلَمَ أَنَّهَا بَرُّ الْأَمَانِ لِلْمُسْلِمِينَ. عَلَيْنَا أَنْ نُعَمِّرَ مَسَاجِدَنَا وَنُرَبِّي أَجْيَالِ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾⁴.

إِخْوَتِي الْأَعْرَاءُ،

لَقَدْ خَلَقَنَا اللَّهُ تَعَالَى مُحْتَاجِينَ إِلَى بَعْضِنَا الْبَعْضِ. وَتَفَرَّدُ الْإِنْسَانُ بِنَفْسِهِ وَحْدَهُ أَمْرٌ يَسْتَجْلِبُ لَهُ الْأَفَاتِ الرُّوحِيَّةَ. وَيَفْرُرُ عِلْمُ النَّفْسِ الْحَدِيثِ أَنَّ الْوَحْدَةَ مِنْ أَهَمِّ أَسْبَابِ الْإِكْتِنَابِ وَالْمَلْنُخُولِيَا. وَلَا يَصِحُّ طَبْعًا لِلتَّخَلُّصِ مِنْ هَذِهِ الْوَحْدَةِ، أَنْ نَرْجَ بِأَنْفُسِنَا فِي عِلَاقَاتِ عَشَوَانِيَّةٍ نَرْتَبِطُ بِهَا خَبْطًا بِلا حِسَابٍ وَلَا تَفَكُّرٍ. فَإِنَّ شَخْصِيَّةَ أَيِّ وَاجِدٍ مِنَّا وَأَخْلَاقَهُ تُمَثِّلُ انْعِكَاسًا لِمُنْتَوَسِطِ أَخْلَاقِ الْأَشْخَاصِ الْمُحِيطِينَ بِهِ. لِذَلِكَ يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَوَقَّفَ وَيَتَرَوَّى وَيَعْمَلَ حِسَابَهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عِلَاقَةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ مَعَ إِنْسَانٍ آخَرَ. وَالْجَدِيرُ بِالْمُسْلِمِ الْوَاعِي أَنْ يَجْعَلَ مِنَ الْمَسَاجِدِ الَّتِي هِيَ بُيُوتُ اللَّهِ تَعَالَى؛ مَحَوْرَ عِلَاقَاتِهِ

أَسْأَلُ الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِ مَسَاجِدِهِ، وَمِنَ الْمُتَعَاوِنِينَ فِي سَبِيلِهِ. إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ. آمِينَ.

